ذلك لوم بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم
على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات
الطاف استعارة كما بيناه عليه في الباب الثاني من القسم
الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان
احدا منهم واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك
ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب
تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت
نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعيرته كفار الامم
الانبيائها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله تعالى عليه
وانقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد
منهم برفضه الهته وتفريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم
عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مباددين ويتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع و
اقطع في الحجة من توبيخه بنهيه عن تركهم الهتهم وما كان
يعبد اباؤهم من قبل فمتى اطبا قهم على الاعراض عنه دليل
على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه
كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها كما حكاه الله تعالى عنهم وقد استدل القاضي
ابو بكر الباقلاني على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من
النبيين

ميثاقهم ومنك الاية وبقوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهرهم الله
تعالى في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم
يأخذ منا النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور
ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه
الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه
جبريل عليهما الصلوة والسلام وشق قلبه صغيرا واستخرج
منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه
حكمة وايمانا كما نظاهرت به اخبار المبداء ولا يشبهه عليك
بقول ابرهيم صلى الله عليه وسلم في الكوكب والقمر والشمس
هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء
النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم
الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك منكرا
لقومه مستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد
الانكار والمراد فهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على
قولكم كما قال تعالى اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد
شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله عز وجل طرفة عين قول
الله تعالى عنه واذ قال ابرهيم لابيه ازر اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وابآؤكم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)